جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1

كلية الآداب واللّغات

قسم اللغة العربية وآدابها

المقياس: النص الأدبي القديم (شعر)

المستوى: سنة أولى ليسانس

التخصص: أدب عربي

نوع المقياس: محاضرة

المجموعة:2 (الأفواج من 6-10)

أستاذة المقياس: د/ مليكة حيمر

السنة الجامعية: 2021-2022

المحاضرة الخامسة : المراثي النبوية

أوّلا– في مفهوم الرّثاء:

أ–لغة:

جاء في معجم لسان العرب لابن منظور أنّ الرّثاء من الفعل رَثَى، وَرَثَى فُلانٌ فُلانًا يَرْثِيهِ رَثْيًا وَمَرْثِيَةً إذا بَكَاهُ بعدَ موتهِ. قال: فإن مدحه بعد موته قيل رَثَاهُ يُرَثِّيهِ تَرْثِيَةً.

ب– اصطلاحا:

يُمثّل الرّثاء غرضا من أغراض الشّعر العربي، يُعبّر فيه الشّاعر عن الجانب المظلم من حياته إثر فقدانه من يحبّ، وتظهر فيه لواعج الحزن والألم بصورة أكثر وضوحا، والرّثاء في أبسط تعريفاته هو " مدح الميّت وتعداد فضائله وإظهار اللوعة والحزن عليه".

ثانيا–أقسام الرثاء: ينقسم الرّثاء إلى ثلاثة أقسام؛ الندب، التأبين، العزاء

2–1–الندب:

بكاء الموتى والنّواح عليهم بعبارات مؤسية تبكي العيون وتُدمي القلوب.

2–2–التأبين:

عَدُّ فضائل الميّت والثناء على خصاله والإشادة بصفاته، وتكثر هذه الصّورة في تأبين الأصدقاء والأشراف، بل قد نجدها في رثاء الإخوة.

2–3–العزاء: التعزية هي " التصبّر، وذكر ما يُسلّي صاحب الميّت، ويُخفّف عنه حُزنه، ويُهوّنُ مُصيبته وهي مُستحبّة، فإنّها مُشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". فالدّنيا فانية، ولا أحد سيبقى عليها، والموت حقّ، وليس أمام الإنسان إلاّ الاستسلام لأمر الله وللقضاء والقدر.

ثالثا– الرِّثاء في صدر الإسلام:

يعدّ الرّثاء من الأغراض الشّعرية التي ظهرت منذ العصر الجاهلي، أسهم فيه النساء والرّجال، وكان للنساء الحظّ الأوفر منه؛ لأنّ النساء "أشجى النّاس قلوبا عند المصيبة، وأشدّهم جزعا على هالك، لما ركّبَ الله عزّ وجلّ في طبعهنّ من الخَوَرِ وضُعف العزيمة".وكُنّ يَخْلقن شعورهنّ ويلطمن خدودهنّ بأيديهنّ وبالنعال والجلود أحيانا. وقد حدّثنا الرواة أنّ الخنساء كانت تخرج إلى عكاظ فتندب أخويها صخرا ومعاوية، وكانت هند بنت عتبة أمّ معاوية تحكيها نائحة أباها، ومن " عادة القدماء أن يضربوا الأمثال في المراثي بالملوك الأعزّة، والأمم السّالفة، والوعول الممتنعة في قلل الجبال، والأسود الخادرة في الغياض، وبحمر الوحش المتصرفة بين القفار، والنسور، والعقبان، والحيات؛ لبأسها وطول أعمارها، وذلك في أشعارهم كثير موجود لا يكاد يخلو منه شعر".ثمّ تطوّر الرّثاء ليأخذ صورا عدّة منها الندب، والتأبين، والعزاء. أمّا في عصر صدر الإسلام اختلفت نظرة النّاس إلى الموت، فأصبح الشّاعر الإسلامي إنسان ملتزم بعقيدة دينية تحدّد له أبعاد الرّثاء ضمن القيّم والمعاني الإسلاميّة، وقد يتسابق المسلمون في الجهاد إلى الموت والشّهادة، فيكون الموت مفخرة لهم، وهذه الخنساء التي ندبت أخويها صخرا ومعاوية في الجاهلية، وعاظمت العرب بمصيبتها بابنها وأخويها، أدركت الإسلام وحضرت حرب القادسية ومعها بنوها، أربعة رجال، فحثّتهم على القتال والاستماتة في سبيل الله فقتلوا جميعا، فقالت: الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم. لأنّها على يقين بأنّ جزاءهم الجنّة، وظلّ فنّ الرّثاء مُزدهرا في العصر الإسلامي، لاستمرار المعارك الدّامية بين المسلمين والمشركين، فظهر ما يُسمّى بشعر الفتوحات الإسلامية، ولما توفّي الرّسولﷺ أثّر ذلك في نفسية المسلمين كافّة فبكوه بعبارات مؤسيّة توحي بمقدار الفاجعة التي ألمت بالإسلام والمسلمين، فظهر ما يسمّى بشعر المراثي النبوية.

رابعا– شعر المراثي النبوية:

هو مجموع القصائد التي قيلت في وفاة الرّسول ﷺ ندبا، وتأبينا، وعزاءً. ومن أشهر شعراء المراثي النبوية، حسّان بن ثابت، كعب بن مالك[1]، عبد الله بن الرواحة[2]، وغيرهم.

خامسا–مضامين شعر المراثي النبوية:

بما أنّ أقسام الرثاء ثلاثة، الندب والتأبين والعزاء، سنحاول أن نستظهر هذه الأنماط في القصائد التي قيلت في رثاء الرسول ﷺ.

5–1–الندب:

يظهر الندبُ من خلال القصائد التي بُكي فيها على الرّسول ﷺ بعبارات مؤسية، وبحرقة كبيرة، تُدمع العيون، وتُدمِي القلوب أسى وحزنا على فراق الحبيب المصطفى ﷺ ، وفي ندب الرسول ما نجده نثرا، وهو قليل مقارنة مع الشّعر، ولا نجد بُكاءً على رسول الله ﷺ وندبا أكثر من ندب فاطمة[3] رضي الله عنها، عندما قالت:

أُغْبَـرّ آفَاقُ السَّـمَاءِ وكُـوِّرَتْ شَمْسُ الـنَّهَارِ وأَظْلَمَ العَصْـرَانِ

فالأَرْضُ مِـنْ بَعْـدِ الـنَّبيّ كَـئِيْبَةٌ أَسَـفًا عَلَـيهِ كَـثيرَةُ الـرَّجَـفَانِ

---

[1] هو كعب بن مالك بن أبي كعب، وهو عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن سلِمة بن سعد بن علي الأنصاري السَّلَمي ثمّ الخزرجي، لقّب بالأنصاري نسبة إلى الأنصار الذين نصروا رسول الله، وأبوه مالك بن أبي كعب شاعر، وأمّه ليلى بنت زيد بن ثعلبة من بني سلمة أيضا. اشتهر بيت كعب بالشّعر، كما اشتهر بالعلم والحديث، وقد أسلم كعب مبكّرا، فكان من أوائل الأنصار في المدينة، وتوفي كعب في مدة معاوية سنة خمسين، وقيل سنة ثلاث وخمسين. – ينظر ديوان كعب بن مالك الأنصاري، دراسة وتحقيق: سامي مكي العاني، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط1(1966)، ص: 52-54-55-78.

[2] صحابي بدري وشاعر وقائد عسكري، وأحد نقباء الأنصار الإثنا عشر، شارك في غزوات النبي محمد، وكان أحد الشّعراء الذين دافعوا بشعرهم عن رسول الله، استشهد في يوم مؤتة سنة 8هـ.

[3] هي فاطمة الزهراء، ابنة النبي –ص– وزوجة الإمام علي بن أبي طالب، وأمّ الحسنين، وُلدت بمكّة قبل الهجرة، وتُوفّيت في السنة الحادية عشرة من الهجرة النبوية الشريفة. – نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري(733هـ)، تحقيق: يحي الشّامي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د، ط)(د، ت)،ج5، هامش، ص:165.

5-2-العزاء:

قال أبو سفيان بن الحارث يعزّي فاطمة رضي الله عنها في وفاة والدها:

أَفَاطِـمُ إنْ جَـزِعْـتِ فَـذَاكَ عُـذْر وإنْ لَـمْ تَجْـزَعِـي فَهُـو السَّـبيلُ

فَقَبْـرُ أَبِيـكِ سَيِّـدُ كُـلِّ قَبْـرٍ وَفِيـهِ سَيِّـدُ الـنَّاسِ الـرَّسُـولُ

نلمس في هذين البيتين صبرا، ومواساة لأهل الميّت، ابنته فاطنة، يحاول فيه المعزّي التخفيف من حدّة الألم النفسي الذي تعيشه فاطمة ابنة خير البرية.

5-3-التأبين: قالت عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها وأبوها يُغمّض: (الطويل)

وَأَبْيَـضُ يُسْتَسْقَـى الـغَمَـامُ بِوَجْـهِهِ ثِـمَالَ اليتامـى عِصْمَـةٌ للأرامِـلِ

سادسا-خصائص شعر المراثي النبوية:

اتّسم شعر المراثي النبوية بجملة من الخصائص استخلصناها من بعض المراثي، منها:

- استخدام معجم شعريّ مقتبس من القرآن الكريم، فقد كان له أثر كبير في شيوع الألفاظ المدنية والحضرية، فالصّلاة، والثواب، والرحمة مفردات إسلاميّة دخلت الرثاء بمجيء الإسلام.

- الوحدة الموضوعية، فالقصيدة كلّها عبارة عن موضوع واحد، وهو رثاء الرسول ﷺ.

- سهولة اللغة، ووضوح الأفكار.